كلمات من الارض المحتلة

«كلمات للزمن الآتي»

من أرشيف الثقافة البرجوازية !

خلال سبعة عشر يوما استطاعت « سميرة الشرباتي » كتابة سبع عشرة قصيدة ، بمعدل قصيدة كل يوم . علما انها كانت تكتب احيانا ثلاث قصائد في يوم واحد . وقد ضمت سميرة قصائدها هذه ، والمكتوبة بين يومي ٦/ ٢/ ١٩٧٧ و ٢٣/ ٢/ ١٩٧٧ ، واكثرها كتب في ليالي الجمعة ، وحملتها الى شخص يدعى « نعمان الشريف » ، فكتب مقدمة لهذه «القصائد» انهاها بعبارة « والله الموفق » ، وقد كتب السيد نعمان مقدمته في ٦ / ٤/ ١٩٧٧ ، اي بعد «ولادة» اول قصيدة من القصائد السبع عشرة بشهرين على التمام والكمال .

وفي نيسان ١٩٧٧ ، اصدرت « وكالة ابو عرفة للصحافة والنشر في القدس » هذا « الديوان » الذي بين يدينا ، المسمى « كلمات الى الزمن الآتي » والواقع في مئة صفحة من القطع المتوسط ، والمسعر بـ ١٢ ليرة !.

وقد جاء في مقدمة السيد نعمان الشريف ، انعم الله عليه بهجران الاقلام والاوراق الى يوم الدين :

« ان الاخت سميرة لم تولد في مدرسة المتنبي ، فلم اجدها تعنى بالقوالب التي الفها شعراؤنا عبر قرون وانما هي « شيء جديد » . انها تنتمي الى مدرسة الشعر المتجدد ولا اقول الشعر الحديث لاني ارفض التسمية الثانية » .

ويفسر « شريفنا » بفقهية عرجاء رفضه للشعر الحديث فاتيا :

« مدرسة الشعر المتجدد المدرسة التي جعلت الشعر يتدرج في سلم الرقي دون ان تنقطع صلة حديثه بقديمه ، ومن غير ان يفقد شكله وتنعدم مقوماته ، ويؤدي رسالته » .

وما تلفظ به الشريف في خطبته العصماء انه « لعل القدر سيكتب لها ـ اي لسميرة الشرباتي ـ ان تكون شاعرة رائدة » .

ومما نعرفه من المقدمة ان هذا الديوان هو الثاني لسميرة شرباتي بعد ديوانها الاول « قصائد بحث عن رفيق مسافر » ! .

وقبل ان يلفحنا غبار قصائد الديوان ننبه قارئنا المحترم الى ان الديوان مهدى « الى الذين يؤمنون بالصداقة ، رحلة عمر ، وابتسامة امل ، الى هؤلاء اهدي ـ ياء المتكلم لسميرة وليست لي طبعا ـ هذه الكلمات من اجل صديقة العمر ، وابتسامة الامل ، من اجلك يا سعاد » .

كان من الممكن ان ارشق هذا الديوان بعبارتين لئيمتين ، كان اقول ، حبذا لو لم تخرج « قصائده » لتركم انوفنا بغبار عصر الانحطاط ، ولكن عندما

غلاف ديوان « كلمات للزمن الآتي » !

تعلم يا عزيزي القارىء ان هذه « القصائد » لشاعرة من الارض المحتلة ، لابد أن تقف مفجوعا ، ليس لان القصائد بعيدة عن الشعر بعد الدخان عن الغيم ، انما لانها تشف عن افكار بمنتهى التواطؤ مع الاحتلال الصهيوني .. التواطؤ الثقافي والفكري ، وربما دون قصد من « الشاعرة ! » .

فبعد ثلاثين عاما من الاحتلال الصهيوني ، لم تجد سميرة الشرباتي موضوعا تتناوله سوى قضية الزنوج والملونين الذين يرفضون ان يكونوا « زنوجا حقراء » ! على حد تعبيرها ! .

« قيدوه بالسلاسل / قيل هذا النذل زنجي مقاتل / كسروا منه الايادي ليس الا انه طفل مناضل » .

ان التضامن مع الزنوج لا يمكن ان يكون صادقا ، الا من الثوريين الذين يرهنون وعيهم لقضيتهم الاساسية في الدرجة الاولى .

كلا يا عزيزي القارىء ، لا تفهم « شاعرتنا » خطأ ، فهي لا تريد ان تقول ان الزنجي المقاتل اقل شأنا من الطفل المناضل ! .. ولكن القافية اللعينة وقوانين واوزان ابو خليل الفراهيدي حفروا لها حفرا واسعة عميقة فصارت تتخبط في كل قصائدها فلا هي تعرف ما الذي تكتبه ، ولا نحن نعرف ما الذي نقراه . فما الذي يعني يا عزيزي القارىء قولها :

« فليكن / مهما فعلتم لن يكو ن الليل الا لحظة من بعدها يشتد عود الغصن / يحصد جمعكم حصد المناجل » هل هذه رموز ام تشبيهات ؟ ، وكيف استساغت « الاخت » سميرة ان تعتبر الزنجي غصنا ، والعنصريين سنابل ، ثم يتحول الغصن منجلا !! ؟ .

ويا عزيزي القارىء ، هل قرأت في حياتك بيتا شعريا اقل ركاكة من هذا البيت :

« وانا وان كنتم اتيتم بي لقتلي لن اقاومكم بغير القتل » .

ان جميع القصائد المتبقية في الديوان تتحدث عن هموم الحب ، ويا لها من هموم ، فسميرة تحاول تقليد نزار قباني ، ولكنها تفشل دائما ، فلا هي تتملك الموهبة الشعرية ، ولا هي تتقن وتتملك الاداة الفنية « القبانية » . لقد ضربت « الشاعرة !! ؟ » بالتجربة الشعرية الجديدة في الارض المحتلة التي اسسها محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ، ضربت بهذه التجربة عرض الحائط ، وتمسكت بأذيال قصائد نزار قباني التي شلحتها الى قاع الرداءة الفنية والفكرية .

فشاعرتنا التي كتبت « قصائدا » عن تعطشها للمعرفة وهيامها بالفكر ، تعترف بان الفكر لديها هو « الشك » ، اي شك ؟ الشك بحقيقة الوجود !!

على كل لندع كلمات الشرباتي عن الحب جانبا ، ولنوقفها امام مسألة تهم شعبنا في الارض المحتلة ، وكنا قد اشرنا اليها عندما تحدثنا عن رواية الكاتبة الفلسطينية « سحر خليفة » الصبار ، فسميرة الشرباتي تعتبر العمال العرب العاملين في المعامل والمصانع « الاسرائيلية » مجرمين وسفاكي دماء وخونة !! ، مفصحة اكثر من مرة عن عدائها للطبقة العاملة ، طارحة قضية العمل في المصانع « الاسرائيلية » بسطحية وحمق .

فيا اخت سميرة ، العامل العربي ، يعمل في مصانع العدو ، لان طبقتك البرجوازية او شبه البرجوازية عجزت عن التصدي للصهاينة ، كما عجزت عن تأمين العمل للعمال العرب .

فأنت تقولين في « قصيدتك » المسماة « غموض القتل » ص (١٢) :

« لم يقتلني جوع طعام
حيث الزاد هنا كالتبغ
كثير في كل الاوقات » .

فأنت تجدين ان حياتك ـ اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ـ جيدة ولا ينقصها شيء في ظل الاحتلال الصهيوني ولكن الطعام لا يتوفر لكثيرين من ابناء شعبنا في الوطن المحتل ، ويضطرون لبيع قوة عملهم مقابل القدرة على الاستمرار في الحياة والنضال ، بأي حق تسمحين لنفسك القول :

اواه من عمال وحل مجرمين .
ضاعوا على طرق النذالة
تحت شمس القاتلين
ويمر هذا الركب
ميتة قلوب الراكبين .
أجد الصفاقة في الوجوه كما البلاهة في العيون » .

عيب ، يا « اخت » سميرة ، الم تقولي انت نفسك في « قصيدة » « عصر الانكماش » ص ٨٧ :

« في عصر الرعب ترى الافراح سراب صحار منسية ، في عصر الرعب يكون الجوع نزيل بيوت الشعب الصامد في ضفتنا الغربية » فكيف تناقضين نفسك ، ام ان كلامك ليس عليه جمرك ؟ ! . ثم كيف تقولين في اخر قصيدة « قد عرفنا حقنا بالبندقية » ، بعد ان تسمي بدني في قصيدة « غموض القتل » حين تقولين :

« فأنا من ؟ ، ولماذا جئت ؟ وما نفعي ؟ ان كان بقائي لا يسعدني ، لا يشقيني ، لا يدرك معنى التجديد » فأنت ـ سلامتك تعانين من روتين وبطر وضجر برجوازي ، وتقولين : « ان حياتي لا تستعذب عيشا يخلو من تعقيد » ويقتلك الجوع للسر الكامن خلف جدار وجودك ! ؟

لن استرسل كثيرا ، ولكن ثمة ملاحظات اخيرة وسريعة اوجهها للكاتبة ، او الشاعرة لا ادري :

١ ـ يجب ان تنغرسي اكثر في تفاصيل حياة شعبنا اليومية ونضالاته ضد الاحتلال الصهيوني .

٢ ـ يجب ان تتعمقي في دراسة الشعر الفلسطيني المقاوم فهو تراثك الشعري الاساسي وليس قصائد نزار قباني الخلاعية .

٣ ـ تحتاجين الى وعي فني ينقلك من الفهم الكلاسيكي الاحمق للشعر والتجديد الى الفهم العلمي للحداثة ، وان تضربي عن « الطعام الثقافي » الذي انعم عليك به « نعمان الشريف » .

٤ ـ يجب ان تزودي نفسك بوعي سياسي ثوري كركيزة لانطلاقتك الفنية .

٥ ـ يجب ان تتمتعي بمسؤولية عما تكتبين ، فلا تنشري نتاجك قبل ان تتمترسي بوسائل الدفاع عنه .

٦ ـ الشعراء الناشئون يكتبون كثيرا ، ولكن تسعين بالمئة من كتاباتهم تحتاج الى شطب ، فلا تجعلي من توفر وسائل النشر مقبرة لمستقبلك الابداعي .

٧ ـ كانت كلماتي عن « كلماتك » غاضبة .. ولكنك تستحقين اكثر من ذلك لتعودي الى طريق الصواب (....) .

٨ ـ التجربة الذهنية وحدها ، لا تبدع شعرا ، الشعر ينتج عن التجربة الحياتية المعاشة والمتفاعلة مع التجربة الفنية .

٩ ـ انت شهرت سلاحا ، ولانك لم تستطيعي استعماله ، كان موجها الى ظهر شعبنا من عمال وفقراء ، والى خاصرة ثقافتنا في الارض المحتلة .

١٠ ـ آمل ان لا احتاج الى هذه اللهجة حين اكتب عن ديوان اخر لك .. بعد سنين ! .

هادي دانيال

سينما

الغزو الثقافي الصهيوني يشمل المنطقة الغربية من بيروت !

الى جانب الحملة الاعلامية الانعزالية ضد العروبة ، وضد « العنصر العربي » واصفة العقل العربي بالكسل والهمجية !!

والى جانب العروض السينمائية لافلام صهيونية وعنصرية التي تعج بها صالات عرض المنطقة الشرقية في بيروت ، تقوم صالة « البيكاديللي » في المنطقة الغربية بعرض فيلم « مغامرات رابي جاكوب » الصهيوني ، متناغمة مع امصال الحقد التي تفرغها القوى الانعزالية في عضل الوعي الجماهيري .

ـ ١ ـ

قصة الفيلم تتناول زعيما عربيا معارضا ، اسمه « محمد سليمان » يتعرض لمحاولة اغتيال بعد الخطف من قبل « عصابة » تابعة لسلطات بلاده . وتنتقل الكاميرا بين الصراع الدائر بين الزعيم السياسي والعصابة السياسية العربيين من جهة ، وبين صاحب عمل فرنسي وزوجته الطبيعية الغيورة والصراع الهاتفي الدائر بينهما من جهة ثانية . وطبعا يأخذ الحدثان شكلا كاريكاتوريا باعتبار الفيلم في النهاية لوحات ساخرة من العرب (الجهلة المتحكمين بالحضارة عن طريق النفط !) .

ينتقل الفيلم الى المنعطف الاهم ، فالعصابة رغم اختطافها للزعيم العربي الى معمل في منطقة ريفية نائية في فرنسا ومحاكمته محاكمة صورية اتهمته بالخيانة العظمى ، وحكمت عليه بالموت . تفشل في تنفيذ الحكم عن طريق الصدفة التي اوصلت صاحب المعمل المضحك الى مقرها السري حيث جاء طالبا معونة ما لجر سيارته من البحر الذي سقطت فيه من جراء حادث مضحك هو الآخر سببته مخابرات الزوجة الغيورة ، الهاتفية !

بعد ان هرب « محمد سليمان » وفشلت العصابة بالامساك به ، رغم ملاحقتها له ولصاحب المعمل الذي التقى « سليمان » في سيارته .. ومن السيارة أطلق الزعيم العربي الرصاص على اثنين من رجال الشرطة ارداهما قتيلين .. ثم هرب بصحبة صاحب المعمل الذي اصبح رهينة للزعيم العربي . وعندما خابرته زوجته وبرفقته «سليمان» قال لها ـ بأمر الزعيم ـ انه عاشق ولهان بامرأة سيذهب معها الى مدينة اخرى .. وهنا يطير عقل الزوجة وتخبر الشرطة بأمر زوجها الهارب ، في وقت كانت الشرطة نفسها تبحث عنه باعتباره متهما بقتل شرطيين .

الى هنا والمسألة لا تتعدى كوميديا بطلاها « العرب » و « الفرنسيون » . ولكن في المطار يقوم صاحب العمل الفرنسي والزعيم العربي بالاستيلاء على ملابس حاخام ومرافقه بالقوة ، وعندما يعلم رجال الامن بذلك يصادفهم الحاخام اليهودي جاكوب ومرافقه فيشكون بهما خصوصا وان جاكوب يحمل آلة موسيقية ظنوها تحتوي على اسلحة !

وعندما يصل الزعيم وصاحب العمل الى مطار المدينة الجديدة ، يستقبلهما مجموعة من اليهود يقلانهما الى الحي اليهودي ، حيث يستقبلان باحتفال غفير ، بصفتهما الحاخام جاكوب ومرافقه الشاب . ثم يكتشف « جاكوب » الزائف ان سائقه اليهودي الذي طرده من عمله قد اكتشفه فصارحه بالحقيقة وقال له : في حال حفظ سره سيعيده الى العمل ويغمره بالخيرات ، فتواطأ السائق اليهودي مع صاحب المعمل بسرعة مدهشة !

واثناء الطقوس الدينية اليهودية بقيادة صاحب المعمل الذي اصبح « جاكوبا » والزعيم السياسي العربي الذي اصبح « حاخاما شابا » وتم تزويجه من حسناء يهودية .. يدخل رجال الشرطة ويخربون الاحتفال ، وينكشف أمر صاحب المعمل والزعيم السياسي .. وعند مطاردتهما من قبل العصابة التي تخطىء فتلقي القبض ثانية على الحاخام جاكوب ومرافقه الشاب .. تم في محطة بنزين تلقي القبض على صاحب المعمل والزعيم السياسي العربي .. تحلق طائرة هليكوبتر تقل الوزير الفرنسي الذي يتصل بالسيارة التي تقل جاكوب وصاحبه الشاب ومحمد سليمان ورهينته صاحب المعمل وافراد العصابة العربية ! .. ويفاجأ الجميع بأن الوزير يطلب الرئيس « محمد سليمان » لان « قيادة الثورة الجديدة » في بلاده تبلغه بأنه عين رئيسا للجمهورية وعليه العودة الى بلاده لاستلام منصبه الجديد !

حينئذ تنقلب العصابة رأسا على عقب وتطلب العفو من الرئيس « محمد سليمان » وعند نزوله من السيارة ليستقل الطائرة التي ستقله الى بلاده من الاليزيه يكتشف ان ابنة صاحب المعمل كانت ستزف الى عريس فرنسي شاب .. وعندما تدور مراوح الهليكوبتر يطير في الهواء اكليل الزفاف ويتطاير شعرها الاحمر .. هنا يعود محمد سليمان المغرم بالفتيات ذوات الشعر الاحمر ، اليها ويطلب منها الذهاب معه فتتردد ولكنها عندما تعلم انه اصبح رئيسا للجمهورية تترك عريسها وحيدا امام فرح والديها وتغادر فرنسا مع « محمد سليمان » .. في حين يعود جاكوب الحقيقي الى « مواطنيه » اليهود وتتزوج الحسناء اليهودية من مرافقه الشاب .. والوزير الفرنسي يمني نفسه بهدية ثمينة من الرئيس العربي « محمد سليمان » وببكر نفط للشعب الفرنسي مهرا للعروس ذات الشعر الاحمر !!

ـ ٢ ـ

هذه باختصار قصة فيلم « مغامرات رابي جاكوب » الذي يحاول ان يطرح بأسلوب سينمائي كوميدي الافكار التالية :

١ ـ رصيد العرب الحضاري الوحيد ، هو النفط ، والعلاقات العربية الاوروبية ترتكز فقط على تصدير الحسناوات الى الزعماء العرب ، مقابل آبار النفط .